

عن الذات واللغة والكتابة

مارسلان بليني

السقافة الجديدة :

تقوم « نيل كيل Tel Quel » منذ نشأتها بإنتاج حديث سديد
الخصوصية ، إذا ما قورن بما نذيعه الحركات الادبية اليمينية منها
واليسارية في فرنسا . حديث مناهض للتحريفية يعانق فكر وتجربة الصين
الحديثة ، وفي نفس الوقت يتمسك بالتحليل النفسي ويقوم بقراءة جديدة للأدب
الفرنسي (أرتو - لوترايمون ...) مع بلورة تجربة خاصة في الكتابة -
الرواية والشعر - ومنهج جديد في التحليل ، لهذا أود منك أن تتحدث عن أساس
هذا الحديث ...

مارسلان بليني :

ان احدي القضايا الاساسية هي فشل الماركسية ، كقاعدة لعمل يجب
للقيام به ، وكاشكالية في البلدان التي تدعى الاشتراكية ، وتحول الاشتراكية
الى اشتراكية - فاشية (I) (معسكرات الاعتقال الخ ...)
ان السؤال الذي يجب طرحه على المثقفين هو : كيف أمكن حدوث ذلك
كيف صار ممكنا ؟ كيف يمكن تحليله ؟ وكيف يمكن تفادي حدوث ذلك من
جديد ؟

لقد حددت المجلة منذ البداية مفهوما يعرف جيدا نوع وأهمية هذه
المسألة الدوغمائية - التحريفية - أي فكرة كون التحريفية والفاشية حليفتان
تسيران يدا في يد .

ويبدو لنا ، في كل الاحوال ، أن الماركسية ، كما هي منتشرة ومذاعة
الآن في العالم الغربي ، هي ماركسية ميتة . اذن فالمسألة المطروحة هي معرفة
كيفية تفادي السقوط من جديد في حديث ماركسي منمط ومتكرر ؟ مثل :
الستالينية وما أنتجت ؟ وتطرح اليوم مسألة أخرى تبدو أكثر تقدما وهي
تلك التي يطرحها (لويس التوسير) أي مسألة الـ سيرورة بدون ذات
ويبدو لنا أن التشويهات ، والمسخ ، والمصائب ، التي حدثت للماركسية
مشروطة بالطريقة التي اقصت بها الماركسيولوجية مسألة الذات من ضمن

اشكالاتها ، يعنى ، اذا أردت ، أن احدى المشاكل التي يجب أن تبحث من خلال هذا المنظور ، هي مشكلة العلاقة بين ماركس وميغل ، والطريقة التي فصلوا بها الماركسية عن الجدلية الهيغلية .

... ان التناقضات التي نمت داخل الحزب البلشفي نفسه والمعارضات التي لقيها لينين ، انتجت شيئا فشيئا هذه الشيخوخة التي أصابت الماركسية . وهذا الموضوع بالضبط هو الذي بحثه شارل بيتلهام في كتابه « صراع الطبقات في الاتحاد السوفييتي 1917 - 1923 » (2)

في رأينا أن مسألة الذات قد محتها وطمسها الماركسيولوجية لذلك يبدو لنا اليوم وجوب تنسيقها . ان هناك علما عاصر هذا النمو ، يستطيع افضل من أي علم آخر ، أن يعالج هذه المسألة : هو الفرويدية . وانطلاقا من هنا ، سيمكن - حسب وجهة نظرا - مواجهة هذا الذي يوجد في الماركسية ، والذي استطاع انتاج الاوضاع التاريخية التي نعيشها اليوم . وليست هذه المسألة جديدة كل الجدة ، اذ سبق أن عولجت في الثلاثينات من طرف ويلهلم رايش (وهنا نطالب أيضا بقراءة كتاب سيكولوجية المازوخية الفاشية) (3) .

في هذا الاطار تمتاز كل أعمال رايش بدلالة لها أهميتها القصوى اذ تعالج في الواقع المشكلة الملحة التي ينشغل بها البال جدا . أي معرفة لماذا ؟ وكيف ؟ يمكن ان توجد جماهير ثورية وجماهير فاشية ؟ هذا النوع من المعالجة ، وطرح القضايا يمكن من التعرض من جديد / ومن تحليل مجال تاريخي بأكمله ، وهو ما لا يمكن أن نحيله بسهولة وببساطة على التاريخ ، مقررين أنها مسألة يمكن أن نعود اليها أكثر ، وهو ما يمس ، في الوقت نفسه ، القضية التي تهمنا في نهاية المطاف جميعا .

لماذا النازية ؟ سؤال يشبه سؤال : لماذا الستالينية ؟ يبدو أنه ، باقضاء وتصفية الذات من النظرية الماركسية ، نحد أنفسنا ليس فقط قد وقعت تصفيتها ، وانما محاصرين داخل قرون من الحياة ، والتاريخ . أي العلاقة التي ربطها الناس بينهم وبين الدين عبر التطور التاريخي . وهكذا سيكون السؤال الذي يجب أن يطرح على الماركسية ، وحتى على ماركس نفسه ، هو أخيرا ، كيف أن قضية الدين لم تعالج في سببيتها الداخلية ؟ (4) أظن أن الشيء الذي يسأل كل دين هو العلاقة التي تربطها الانسان بالدين . لا يكفي أن نعلن أننا لا نؤمن بالله لكي نكون حقيقة لا نؤمن به . لان هذا النوع من التصريح يستتبع استبدالنا له بشيء آخر . أي أننا نضع - من الناحية الاجتماعية - شيئا آخر مكانه ، وفي الم حلف نفسه الذي ننفي فيه ما هو معاش حقيقة . وعموما يكون هذا الذي نضعه مكانه سلطة عينية واقعية ، نسلم لها بما لا نرغب في معرفته محملين لها مسؤولية قمع كل ما يمكن أن يجلب معه معرفة . ان مسألة الدين والعلامة به هي الباب المفتوح لكل انواع القمع والعنصرية والفاشية .

إذا أردت ، فإن مسألة الذات ، وبالكيفية التي يمكن للفرويدية أن تعالجها بها ، تفتح لنا - حسب ما يبدو لي - مسألة اللغة التي نرى جيدا كيف انها معطلة لا توظف كمسألة لغة ، في ماركسيولوجية بأكملها ، بل حتى في الاحاديث السياسية التي تدعى الماركسية . وفي مجال هذه الاحاديث ، لدينا مثال على سالبية مسألة اللغة ، ألا وهو الحديث الذي لا يتوجه لدى كل واحد ، لمخاطبة لغة حية تمكن أي شخص من التوفر على معرفة ، وانما يخاطب فقط لغة ميتة تفرغ كل حديث من المعرفة التي يحملها . انه لا يتوجه أساسا - الا الى معتقد غير عقلي ولا منطقي .

ويمكننا أن نستدل ونكشف عبر التاريخ - والبنىات سواء منها الدينية أو الدوغمائية ، وفي الكيفية التي حوصرت وسجنت بها الذات داخل هذه البنىات - عن الفترات والاماكن التي توصلت فيها (الذات) ، عن طريق قفزات مفاجئة تقريبا ، الى البروز وقول حقيقة عصرها بلغة ثورية دائما . والجلي أن الامكنة التي ستظهر فيها الذات بهذه الكيفية هي الاماكن التي ستكون أقل تعرضا للحراسة ، وأن الآثار والبقايا الاكثر وضوحا والتي يمكن العثور عليها فيها توجد في الادب . وفي هذا الاطار يجب أن تكون العلاقة الواقعية التي تربط بين أعظم التحولات في اللغة وفي المجتمع محط تفكير منهجي قدر المستطاع :
الثقافة الجديدة :

هل يمكن أن تضبطوا لنا علاقات التحولات التي حدثت على صعيد الكتابة بالتحولات والثورات المعرفية الكبرى أعني الماركسية الفرويدية ، والصوسيرية ، والى أي حد كانت التحولات في أنماط الكتابة مسيطرة لهذه الأخيرة ؟ وفي نفس مستوى حديثها ؟
م. بليني :

لا يمكن أن تحدث احدي تلك التحولات دون الاخرى . وما يبرر نمو العلوم وتطورها انما هو كمونات اللغة وامكانياتها وليس العكس ، رغم أن الاثنين يكونان مترابطين دائما . لقد رافق تلك التطورات العلمية تغيرات وانقلابات حدثت ، في نفس الوقت ، على صعيد أشكال اللغة نفسها ، وقام بها كل من **لوتريامون و ملارميه ، و آرطو ،** وفي فترة متأخرة **جويس .** والذي يبرر الفرويدية ، وحتى الصوسيرية هو بحوث صوسير عن الاناغرامات (5) فهي نصوص تمنح لهذه العلوم كل راديكاليته ، والتي بدونها تكون حبرا على ورق أو علوما ميتة . وهكذا نرى أن الحديث **Discours** عن اللغويات لا يظهر من الفرويدية ومن اللغويات سوى بعدها العلمي ، وفي فترة معينة . فمن جهة هناك استقلال محض ، يستغل المعرفة . ومن الجهة الاخرى هناك الممارسة تنميتها ضمن فروقات يندر قياسها في الفترات التي بعاد خلالها انتاجها وحديثها وهذا لا يعني أن الحديث عن اللغويات لا منفعة من ورائه وانما فقط كونه
مجزء 1

الثقافة الجديدة :

من ضمن المفاهيم التي تطرحونها كأساس نظري لممارستكم الكتابية، مفهوم « تجربة الكتابة » (الذي يثير بعض القضايا التي لا يستهان بها) فما هو تحديدكم لهذا المفهوم ؟

م. بليني :

نطلق تجربة الكتابة عما تقوم به الذات من تجريب على إمكانات وكمونات لغتها . أي أن التجربة هي - كما هو الحال ، الى حد ما ، بالنسبة للعلوم - ما تمنحه اللغة من لا نهائية في الامكانيات ، وما يحمل معرفة عصرها ويعالجها ويعطيها راديكالية تميزها .

تعرض هنا معضلة لغوية ، تتمثل في مشكل تعريف ما يمكن أن نسميه بـ « اللغة الشعرية » اذ معظم اللغويين يعتبرونها شذوذا ، أي أنهم ينظرون اليها من خلال ما يعرفونه (بالتشديد) كمعيار للغة ، مما يجعلها تظهر بالنسبة لهذه المعايير منحرفة وتزيينية . انها نظرة شكلية ضيقة الى اللغة لا يمكن أن تؤدي - في نظري - مهمتها بفعالية الا في مجال اللغات الميتة . الواقع أن اللغة الحية لغة تنمو ، ولا تكف أبدا عن خلق أشكال جديدة . لكن أين نغش على هذه الاشكال الجديدة - أي مظاهر حياة هذه اللغة نفسها - ؟ انما توجد في اللغة الشعرية ، واللغة الشعبية وفي حياة العاميات ، واللهجات الاقليمية وخاصة ، والحوارج . اعتقد أن اللغة الشعرية ليست شذوذا أو ديكورا ، ولكنها ميدان للعمل منفتح دائما ، ميدان الكمونات والامكانيات الانتهائية للغة .

الثقافة الجديدة :

تعرضت طرق التحليل الادبي الى سيطرة انساق فلسفية وعلمية جعلته - في الغالب - تابعا يضحي بخصوصية النص ونوعيته ، « وجوهرة » من اجل البرهنة على فعاليتها ، او التأكيد على صحة النظرية وصحة المفاهيم التي اقترضاها من ميدان آخر ، فكيف يجب أن نحلل النص حتى نفهم حقيقته ودون جعله مجال تطبيق فقط ؟ ...

م. بليني :

نعم يجب التفريق بين عدة أساليب ومناهج ممكنة فيما يسمى بالتحليل الادبي . اعتقد أنه في صالحنا - اذا أردنا التعرض لنص أدبي - أن يتوفر لدينا أكبر قدر ممكن من المعلومات حوله ، لكن المشكل الذي يبقى مطروحا هو مشكل خصوصية ونوعية لغة النص الادبي الذي نتطرق اليه . وهو ما يشبه ، اذا أردت ، - الى حد ما - الكيفية التي تعالج بها الفرويدية تحليل الاحلام . ويعنى هذا في نظري أنه لا يمكن أن نستعمل بشكل آلي نفس المفاهيم لتحليل نصوص مختلفة ومتباينة . النص يبوح بمعرفته ، والمعرفة لا تغطي النص أو تجلله . وعوض أن يكون لدينا تحليل اختزالي يحيل الادب الى معرفة ، فإن لنا تحليلا منتجا لمعرفة الادب . والحلي ، أن الكتابة ، بالنسبة للنص

العصري خاصة ، حية ونشيطة ولاسيما في الاشكال التي تمتدعها ، فالفهم يبرز التحول عن طريق خصوصية الاشكال التي تستعملها . وهنا بالضبط يتعمد تحليل للنص .

أما الهدف فيتمثل في ابراز راديكالية المعرفة التي يحملها النص .

الثقافة الجديدة :

في اطار مناهضة عملية الاحتواء التي تقوم بها « الآليات » الايديولوجية الرجعية والامبريالية تطرح مشكلة التمييز بين نص ثوري حقيقي ونص ثوري مزيف . لان هناك نصوصا لا تكف أبدا عن التصريح بثورتها ، وعن تمتع عواطف الجماهير ، مستعملة - الى حد ما - نفس أساليب النص الثوري الحقيقي ، في حين أن غرضها الحقيقي ، هو ضرب من تدعى خدمته ، وغالبا ما يمر زمن طويل قبل اكتشاف حقيقة اللعبة ، ولا ينانى ذلك الا عن طريق حجة ليست من داخل النص وإنما من خارجه (موقف منتج النص أو سلوكه في ظروف حاسمة) ، فكيف يمكن أن نحل هذا المشكل بطرق نقدية أو تحليلية أدبية تستخرج الحقيقة من النص نفسه .

م. بليني :

ذلك يكمن في الفرق بين المدلول والشكل الذي يتخذ هذا المدلول ، الذي يؤخذ في اطار لغة حية تصيره عصريا وحديثا ، وتعطيه ثقله الواقعي ، والا فانه يكون ثرثرة وكلاما فارغا في لغة ميتة ثابتة وغير زمنية ، والتي لا هدف لها في الاساس سوى نفية وانكاره . وليس هناك ما هو أكثر مناهضة ومعاداة للماركسيه عن نص دوغمائي بصرح ويدعى الماركسبة ، لان ما يتكلم عنه قد فات ومات مثلا كل الشعر التصريحي الماركسي (أرغون) .

الكل يكمن في تغيير اللغة وتطويرها . هل اللغة تغنى وتخصب ما نقوله أم أنها تكتفي راضية بالتركار . وإذا ما كانت تصير ما نقوله منتجا (يكسر القاء) أم أنها فقط تعيد ببساطة ما سبق انتاجه . وإذا قررنا أن للانسان لا شعورا - ذاك الذي يسميه جاك لاكان **J.Lacan** بالاشعور المبين كلفة - فان الثوري هو ما سيؤثر ويعمل في هذا الاشعور ، وهو ما سيجطم الاشكال المختفية - وإذا أردنا أن نحقق قلنا « كلمة العقل وعلاقتها بالاشعور » يمكن مثلا للهوة أن تقول كل ما لا يريد أن يقوله الشخص أو العقل ، والعكس كذلك صحيح .

كيف يمكن استعمال مضمرات اللغة وامكاناتها وتحولاتها من أجل احداث تأثيرات وانفصامات لا شعورية لدى القاري ، والتي يمكنها احداث ثورة في أنماط التفكير العتيقة ؟ يستطيع سهم اللغة غير التقليدية أن يمس ما لا تمسه اللغة التقليدية . يجب على اللغة أن تكون لدينا انطبعا مثل ذلك يتولد فينا عندما نعتلى كرسيًا ثم ندرك أننا على وشك فقدان التوازن أو أننا سنفقد حتما . فانطلاقا من هذا الوضع يمكن لنا أن نشرع في تقديم اشكال تفكير غير

منمطة ولا مكررة ، لان هذه الاشكال مرتبطة بمجازفة أو خطر يتهددنا .
السفافة الجديدة :

أود العودة الى أعمال التوسير - بسبب الاهمية المعطاة لاعماله في فرنسا ومحيطها (تبنى بعض المثقفين في العالم الثالث لاطروحاته) - يريد التوسير قراءة ماركس انطلاقا من النظريات العلمية المعاصرة الشيء الذي يجعل اعماله تطرح في نظر البعض مشكلة علاقتها بالبنوية واقتراضها لبعض مفاهيمها - بوصفها طريقة سائدة اليوم - في حين يشدد آخرون هجومهم على « القطيعة » وعلى استبداله هيغل باسبينوزا وذلك عند معالجته لآثار ماركس ،
فما هي المشاكل الحقيقية التي تطرحها أعمال التوسير في نظرك ؟
م. بليني :

كانت البنوية « مصطلحا » صحفيا استعمل - خارج الميدان اللساني الضيق - لتعريف أعمال وبحوث لا تخضع لتعريفات متوافق عليها آنذاك . ان جوهر النقاش ينحصر في محاولة فهم أي نوع من الاستعمال يستعمل كل باحث - وصف بالبنوية - لمفهوم البنية . يوجد هذا المفهوم لدى « ليفي ستروس » بشكل ثاتوي - وعند « بارث » ، وأصداء لدى « جاك لاكان J.Lacan » ، بل حتى عند « لويس التوسير » ومنشأ سوء التفاهم - حسب ما أرى - هو استعمال مصطلح جيء به من علم آخر هو علم اللغة . اعتقد أن كل هذا يعبر عن أشكال سوء التفاهم التي يمكن أن يثيرها استعمال مفهوم « البنية » ، ويعبر أخيرا عن الاهمية - التي أولاها الباحثون العاملون في ميادين مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض - لمشكل اللغة . وبالنسبة لبارث مثلا فمن الجلي أن كتابا كـ « لذة النص » (6) لا يمكن أن يختزل الى معالجة بنيوية محضة فقط . أما التوسير ، فانه نفسه ، قد تراجع في كتاب أخير بسبب الانتقادات والماخذ التي وجهت اليه ، والمتمثلة في اعتماده - عرضا - على نظريات بنيوية . ان المشكل الذي يجب أن يطرح بصدد أعمال التوسير أكثر جدية ، وأكثر عمقا .

لقد ظهرت أعمال التوسير والبحوث التي قام بها عن ماركس (7) ، في لغة وبلد معينين ، وفي حزب شيوعي تحريفي لم يسبق أن كان له قطعا أي منظر ماركسي . وعلى هذا الاساس كان من الضروري والحتمي أن تحوز على مثل الاهمية المعطاة اليها . فالاعور ملك في بلد العميان ، لكن المسألة الحقيقية التي تثيرها أعمال « التوسير » ليست مسألة علاقتها بالبنوية ، وانما علاقتها بالجدل أي كيف قسم آثار ماركس بين مرحلة الشباب (مخطوطات T844) وماركس رأس المال ؟ وكيف قام بتتظيرها . ويبدو لي أن هذا التقسيم وتظير القطيعة المترتبة عنه ليس فقط اعتباطيا ولكنه خاطيء . ويمكن الخطأ في استبعاده للاهمية الاساسية لهيغل من أعمال ماركس ، وفي انتاجه للمفهوم الالتوسيري الشهير « سيرورة دون ذات » ويمثل هذا المفهوم - في نظرنا -

الطريق الممهد لابتساع أنواع المبالغات النظرية الدوغمائية . أن جوهر النقاش ليس مشكلا علميا ضيقا ولكنه مشكل فلسفي . فالقطيعة « المشهورة » تنقسم موضوعيا بين ماركس والتاريخ الذي انتجه يعني أنها بشكل أو بآخر - مبتمايزيقية .

... يضع التوسير في آثار ماركس ، سبينوز محل هيغل ، الذي يمكن أن بنير كل هذا هو مشكل مغرفة اذا ما كان من الممكن أن تكون هناك سيرورة بدون فعالية الذات . أي أن تطرح على أعمال التوسير مسألة العلاقات التي يمكن أن تربط بينها وبين الفرويدية . لقد بدأ التوسير يقتبس من الفرويدية بعض المفاهيم دون أن يبرر أبدا هذه الاقتراضات . مشكلة الفرويدية - في نظري - أساسية .

الثقافة الجديدة :

كمبدع - شاعر وباحث - ما هي المشكلة المطروحة عليك والتي تحس أن تطور وفعالية انتاجك وممارستك لا تتحقق بدون حلها ؟
م. بليني :

إن المسألة المطروحة علي والتي أرى أنها ملحة وعاجلة هي أن أبلور وجهة نظر مكتملة بقدر الامكان ، حول الماضي وحتى الماضي القريب نسبيا ، وهي وجهة نظر يجب تكريسها للمشاركة وتحمل المسؤولية فيما يحدث الآن ، وفي الحاضر الاكثر قربا ومباشرة . وهكذا يمكن أن نتكلم بداهة عن بارث أو عن التوسير ولكنهم أشخاص كتبوا أعمالهم وانتهى أمرهم . لقد عملوا في ظرف وسياق تاريخي شاركوا دون شك في تحويله ، ولكنه سياق تاريخي انتهى ، فضلا على أنه مغاير تماما لظرفنا ، وليس هو سياقنا إذ لم تبق المشكلة - كما كان في السابق - مشكلة الاحقاد والصراعات الوطنية ، وانما تطورت الى صراعات وتحالفات دولية . ولذا على ذلك مثال صحفي ولكنه جد واضح : ما يحدث الآن من التقاء وتحالف بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في الفضاء ، انها ظاهرة كان من المستحيل التفكير فيها بعد الحرب العالمية الثانية . ثم مسألة ثانية : دخول الصين الشعبية الى المسرح الدولي .

أجربى الحوار : محمد البكري

باريس - صيف 1975

هوامش

- (1) يعني البلدان الاشتراكية التي سادت فيها التحريفية .
(2) نشر دالر لوسوي وماسبرو 1974 - أنظر الدراسة التي كتبها ج. لويس هودبين

- J.L. Houdebine** في العدد 38 من مجلة **Promesse** والاسئلة التي طرحها على المؤلف ومناقشة كل من لينهارت **R. Linhart** ومحمود حسين له ص. 15 - 76 .
- (3) نشر دار **Payot** (ترجمة)
- (4) حضر ج. لويس هودبين جزءا من هذه المقابلة ، لاسيما الجانب الفلسفي ، وقد أبدى موافقه على ما كان يطرحه بليني وعضد رأي زميله في هذه النقطة بالذات بقوله ان مساله الدين هي غرفة ماركس السوداء
- (5) نشر جنرأ منها جان سطار ويانسكي في كتابه « نلمات تحت الكلمات » عند غالينار 1971
- (6) لوسوي **R. Barthes : Le Plaisir du texte le Seuil, 1973.**
- (7) من أعمال التوسير :

Pour Marx, Maspero

Lire le Capital I et II, Maspero.

وكل ما نشره في سلسلة « **Théorie** » عند ماسيرو

(8) لمارسلان بليني أربع مجموعات شعرية أهمها **STANZE** (لوسوي) وله مؤلفات نقدية وبحوث مذبأ :

Lautréamon Le Seuil

Art et poétique - Collection « Tel Quel » 1977

L'enseignement de la peinture - Le Seuil

وهو في نفس الوقت سكرتير تحرير ومدير مجلة «تيل كيل»

مجلة الدراسات العربية الاسلامية
لوحدة التعليم والبحث في لغات الهند والشرق
وافريقيا الشمالية

سكرتير التحرير : عبد الرحمان أيوب

توجه المراسلات والكتب والمنشورات والمقالات الى :

CAHIERS D'ETUDES ARABES ET ISLAMIKUES

13, rue de Santeuil - Paris 5^e - France